

البناء

بعيداً عن مهاجمات النقد وتمجيد الذات بنى جسراً بين الثقافتين العربيّة والغربيّة

خليل مطران أوّل الرومانسيين العرب المناضلين بالكلمة والرأي لاستنهاض الضمير العالميّ

لمواصله الجهاد لأجل الاستقلال والحرية. وفي باريس التقى مطران بأخواته هناك من سورية ولبنان والذين سبقوه في الهجرة والفرار من بطش الحكم التركي.

أخترط مطران في صفوف المجاهدين بالكلمة وإبداء الرأي كي يستنهض الضمير العالمي لنصرة القضية العربية، ما دفع السفير التركي إلى أن يؤلب عليه الحكومة الفرنسية، وتجددت الضغوط والمضايقات، فأثر مطران الهجرة إلى مصر وبقي فيها حتى رحيله عام 1949.

عهد جديد

كان التمهيد للخروج من مازق حالة الانحدار الشعري يستلزم أن تنهض حركة إحياء وبعث للقصيدة العربية، ومهدت لهذا الخروج كوكبة من الشعراء مثل البارودي وشوقي وحافظ إبراهيم ومطران وإسماعيل صبري عبدالله وغيرهم من الشعراء الذين ألوا على أنفسهم تجاوز القطيعة الشعرية التي فسحت المجال

لركام من الشعراء والقصائد الهزلية. أما مطران فكان من شعراء الموجة الثانية التي جححت نحو التجديد، مع الالتزام بالتقاليد الشعرية الراسخة. وفي هذا الإطار رأى الرومانسيون أن مطران شاعر كلاسيكي مجد تائب بالرومانسية الفرنسية ونقل حساسيتها إلى العربية الأصيلة التي كتب بها، كما نقل مواضعها وأساليبها.

ولكنه بقي محافظاً على الشكل والأوزان الخليلية والقوافي، منطلقاً من منظاره الخاص للشعر كركبة فنية للحياة، وضرورته التعبير عن المشاعر الإنسانية والغضايا المصيرية، إذ كان شاعراً مندداً بالظلم، داعياً إلى الحرية، بينما رأى البعض الآخر أن مطران كان شاعراً أقرب إلى التراث والمحافظ أكثر مما هو شاعر

كتب حازم خالد من القاهرة: ظهرت مدرسة الإحياء والبعث في أواخر القرن التاسع عشر بريادة محمود سامي البارودي وأخرجت الشعر من حالة التردّي التي عاناها طوال فترة حكم الدولة العثمانية، وكان ظهورها بمثابة الوميض في الظلمة وتمثل في المدرسة الرومانسية التي ظهرت لتكمل خطى مدرسة الإحياء والبعث وتجدد فيه فتهب الفريض مذاقا مميّزا ساهم في تبوّئه مكانة كبيرة في ذاك الوقت؛ مما جعل المجتمع يفرّد له مساحات استماع وقرءاءة. وخليل مطران (1872 – 1949) هو أول الرومانسيين العرب وصاحب تجربة التجديد التي سميت بالرومانسية، فمادّا عن حياته؟ بين معابد بعلبك وجدرانها شبّ الفنى، تحببها الطبيعة العبق والعميق التاريخي. تتلمذ مطران على يد إبراهيم وخليل اليانجي، ليدخل إلى عالم الشعر بينما وقائع الظلم والاستبداد تتراءى أمام عينيه، وكان لذلك أثر في ميله إلى شعر الوطنية والحماسة مستنهضاً هم شعبه لمواجهة سطوة المحتل، إذ عانى لبنان من وطأة الحكم العثماني، ولم يملك الشاعر الشاب إلا القصداء ليعبر بها عن رفضه هذا الواقع المزدوج بين رومانسية الاستطهاد وقسوته؛ فتعرض مطران لضغوط ومضايقات من الأتراك كادت تودي بحياته، حتى استحال له العيش في لبنان، وقرر الهجرة إلى فرنسا في عام 1890.

رحلة الحرية

استقل مطران البازخة ذات ليلة من ليالي الصيف، حين رست في مدينة الإسكندرية بضعة أيام، التقى سليم نقلاًأحمد مؤسسي جريدة «الأهرام»، وكان صديقاً لوالده، فأوضح مطران أنه لم يطلب الفرار خوفاً من بطش الأتراك، إنما

عرض تاريخي للإصلاح الديني... خروج بالعقل من الخرافة والخوف والجهل

كتب محمد زكريا توفيق: أطلقت النهضة الأوروبية، قوتين هائلتين، غيرتا العالم: الواقعية والفردية. مهما تكن صورهما المختلفة أو أمانتهما المتعددة، فإن وجودهما يعني أمراً واحداً، هو سقوط ثقافة العصور الوسطى وبداية عصر الحداثة.

تقول نظرية كوربنريك أن الأرض هي تدور حول الشمس، وليس العكس. غيرت النظرية هذه تصورتنا لهذا الكون وقوّضت ما تقوله الكتب السماوية عن مركزية الأرض وعلاقتها بالكواكب والنجوم. ولم تدع اكتشافات فيسكو دي غاما وماجلان وكولومبس المجال لثشق في كروية الأرض، وحولت طرق التجارة من البحر الأدياتيكي إلى المحيط الأطلسي. تدفق أنهار الذهب من أمريكا والأراضي المكتشفة حديثاً، أفسح الطريق لظهور الرأسمالية، وساعد اختراع الطباعة في ألمانيا، في تداول الأفكار، وساعد أيضاً في تداول أسعار العملة وشيكات البنوك والشتريات التجارية. عاتلات مثل المديني، فوجرن، أنقامت مراكز للفنون في فلورنسا، أوغربيرغ، وروما. شجعت العلم وتدعم الفنانين والأدباء والشعراء والموهوبين بالرعاية والعمل والكلمة والطيب.

الواقعية بالنسبة إلى الإيطاليين، تعني نظرة جديدة بسيطة للطبيعة والعالم حولنا والعودة إلى الحياة الهيلينية وإفارة النزاع الفني والفكري. فزيس أم بيوا، إيزيس أم ماري، إن شعائراً وثنية و مسيحية، تألفت كلها في إيطاليا المدينيّة (نسبة إلى عائلات مديشي الحاكمة).

اتباسمة المتألمابازا الغاصمة لاندفتشي، سهام كويويد الجارحة لرفائيل، مشاهد الطبيعة وأجساد جميلات البندقية العاريات، لوحات مايكل أنجلو أو أشعرا أرتينيو، كلها دلائل واضحة على أننا نشاهد ثورة عظيمة على قيم العصور الوسطى الراسخة وأخلاقياتها.

في هولندا ترجم الفنانون والشعراء الواقع إلى لوحات وقصائد، تصوراً الحاضر وتعبرن عن الإنسان، بعيدا عن الكنيسة أو العقيدة. من سرت العدوى إلى دول الشمال، وتطورت إلى شعور وطني وثورة دينية. تتطلع معظم صلاتها بالماضي.

تلك كانت روح النهضة التي علمت سبياً في مولد الطبقة المتوسطة. جاءت لتمجد الفرد ولتعضد الثقة في قوانين الطبيعة، فبزغ نور العلم واستخدام العقل إيداناً بسقوط دولة المطلق، واعتلاء سلطان فلسفة النسبي.

يمتد عصر النهضة الأوروبية والإصلاح من عام 1350 إلى 1700. خلال تلك الفترة تم التحول من حياة العصور الوسطى إلى الحياة الحديثة، من السلطة الطاغية إلى الحرية. هنا بدأ نبض الإحساس بالإنسان والإصلاح. في عالم العصور الوسطى كانت قيمة الفرد تساوي صفراً، وكانت سلطة الكنيسة الكاثوليكية المطلقة، متمزج وتعضد النظام الإقطاعي. تعني الإنسانية التعبير عن الإنسان وعن النفس بالفنون والأدب. رفايل ومايكل أنجلو ودافنتشي خرجوا على التقاليد المرمية الصارمة التي كانت تفرضها الكنيسة، وعبروا وبالفرشاة واللون عن مجتمعهم وأنفسهم كأفراد. إراسموس ورابيلياس وميراندولا وفيسينو كانوا نفوسا حرة، مثل الطيور البرية، لا يحجبها شيء عن التمتع بجمال الحياة بجميع أطيافها، والتعبير عنها بلا خوف أو وجل.

المنادون بالتعبير والإنسانية مذهبا، حاولوا إعادة اكتشاف

أسلوب الإغريق في الحياة. هذا يعني إعادة اكتشاف تراث الإغريق الثقافي، فبحثوا عن مؤلفاتهم في الفلسفة والعلوم والآداب، الزاخرة بالمغالناتية، التي يفوح منها عبق الحرية الشخصية.

لكن للحرية الشخصية أخطارها بالطبع، مثل الضرر والإضرار والإفراط والفضوى والقسوة، إلخ. لكن لا بد من المحاولة. من حق الإنسان أن يخطف، لكي يتعلم من خطئه. العقل والعيش في كنف الخرافات والخوف والجهل، أفضل من الأمان تحت مظلة نظام صارم فاسد مستبد.

اتباع الحرية والمذهب الإنساني، درسوا اللغة اليونانية ونجحوا مخطوطاتها. أنشأوا كذلك نظاما تعليميا جديدا، مبنيا على آداب الإغريق والرومان القدماء، كي يدراوا عن كاهلهم إرث العصور الوسطى الثقيل من التعاليم الجامدة المختلفة. كان رابيلياس يقول: «من دون اللغة اليونانية لا يحق لأحد منا الادعاء أنه عالم». لكن محاولة إحياء لغة ميتة، كان عملية منيئة للقولى، تستلزم الاهتمام بالقواعد والأصول والتراكيب.

كانوا يعتبرون الآداب والفنون الإيطالية والفرنسية في ذلك الزمن، عبارة عن تعابير بربرية، مقارنة بمخيلتها الإغريقية. إحياء اللغة اليونانية القديمة هو إحياء للعظام وهي رميم. كانوا يعتقدون أن الآداب والعلوم اليونانية القديمة هي أكثر حياة من ثقافة المجتمع المعاصر المليئة بالخرافات. في نظريهم، بحث أفلاطون أهم من بعث المسيح، كان إراسموس يقول: «أيها القديس سقراط، صل لجاننا». أسطورة هيلين وحرب طروادة أرقى لديهم من أساطير العهد القديم. كان الرهبان في إيطاليا يعظون في المناسبات الدينية بأشعار هوميير. رهبان باريس، ترجموا كتاب «أوفيد» عن فن الحب. أتباع الأفلاطونية الجديدة بقيادة ميراندولا (1462–1494)، وفيسينو (1433–1499) أحيوا أفكار كليمنت وأوربيغانوس، الخاصة بمزج المسيحية بالثقافة والفلسفة الإغريقية. كانوا يريدون أن الدين والعلم لا يتعارضان، وأن

الدين والفلسفة متكاملان، بمعنى أن كلا منهما يكمل الآخر. لورينزو ميديشي الذي كان يحنضن هذه الأفكار، اتبع خطى جده، واستبدل أفلاطون بأرسطو. ثم جعل لورينزو ميديشي مدينة فلورنسا بيتا للعلم والآداب والفن. ككاتب وفنان، أحاط نفسه بعجائفة عصره: مايكل أنجلو، جيرلانديو، بوتنتشيانو، رابينا، فيروتشيو، بوليزيانو، فيسينو، ويكو. جميعهم، كانوا ياكلون على مائدته ويسبحون بحمده.

الطاقات الخلاقة والإبداع. كان مثل عامة الشعب كريما ذا طبيعة منفتحة يمكن الوصل له والتحدث معه من دون كلفة. كان يستسلم للعقل والحواس، ويحرص على إرسال السفراء لفحص مكتشفات مخطوطات الإغريق الجديدة. يناقش أفكار الفلاسفة الإغريق مع ضيوفه، ويشترك في رحلات صيد مع أصدقائه. بوليزيانو صديق لورينزو المفضل، كان أفضل شعراء عصره وأنجحهم في تقليد القدماء. كان خبيرا أيضا في اللغات القديمة فنال وظيفة أستاذ اللغات اليونانية واللاتينية في جامعة فلورنسا. من موقعه هذا طوّر التعليم عامة واللغات خاصة.

فيسينو، أحد أصدقاء لورينزو، كرّس جهده في ترجمة محاورات أفلاطون. لحسن الحظ، تمت الترجمة مع اختراع الطباعة. يختلف عن بوليزيانو في أنه أفلاطوني حديث، أي من أتباع مدرسة أفلوطين الصوفية في الإسكندرية. ميراندولا وفيسينو وبوليزيانو كانوا القوة المحركة للاكاديمية الأفلاطونية في فلورنسا.

في فرنسا نجد رابيلياس (1490–1553)، صديق وتلميذ إراسموس. كان تعليمه في البداية دينياً مثل إراسموس، ولكنه تحول عن الدراسة الدينية إلى دراسة الطب، ثم كرّس وقته لنقد الخطاب الديني في عصره، مثل إراسموس وفولتير في ما بعد. أدخل دراسة التشريح في الجامعة قبل فيساليوس. بعد ذلك، عُيّن مديراً لمستشفى بونت دو رونيه. كان يسمى الثيولوجيا،



لورينزو ميديشي

علم اللاهوت، بدنفنولوجيا»، وتعني حرفياً علم اللاشيء. وكان يصف الفلغوس الكنيسة بأنها طغوس وثنية. مع بويده، رونزارة، وهوتين، في ألمانيا. فالأ وأدلوس في إيطاليا. كوليت وتوماس مور في إنكلترا، كتختل قائمة أعلام عصر النهضة، والمدانين بالحرية الفردية والمذهب الإنساني. جهود هؤلاء في بداية القرن السادس عشر كانت أشمرت. وانتجت في بداية العصر الحديث. العقل حل مكان الوحي. العلم والمعرفة كانا البديل من الإيمان الأعمى بعالم المعجزات. لكن هذا التبدل من حال إلى حال، من العصور الوسطى إلى النهضة، لم يكن ممكناً من دون الثورة العلمية. لذلك هي جزء لا يتجزأ من عصر النهضة هو روجر بيكون (1214–1294). في القرن الثالث عشر، سبق الجميع ورفض الإيمان الموروث الذي لا يخضع للعقل والتحقيق. كتب يقول إن العلوم التجريبية هي الأصح بين كل العلوم لأنها تحقق نتائجها وتصحبها بالتجربة. لو رغينا في معرفة حقيقية علينا بالعلوم التجريبية.

جاء كوربنريك وفرانسس بيكون (فيلسوف إنكليزي وعالم رياضي غير روجر بيكون). كوبرنيق (1473–1543)، لم يكتشف مركزية الشمس عن طريق الملاحظة والاستنتاج، وهذا أمر عجيب، إنما عن طريق جنون أصحاب المذهب الإنساني لعلوم الإغريق والرومان.

كان أفلاطون يقول إن العلوم الرياضية هي سرّ هذا العالم. ربما أخذ الفكرة من فيثاغورث القائل إن الأرقام هي أصل كل شيء. سيسرو كان يقول إن الأرض تدور حول محورها مرة كل 24 ساعة. أرسنارخوس، العالم الإسكندري، كان يقول إن الأرض تدور حول الشمس.

ما فعله كوربنريك، هو الإفادة من علوم الإغريق القديمة وعلماء الإسكندرية، وصاح مفهوم مركزية الأرض الشائع الذي جاء في كتاب المجسطي لبطليموس القلوزي الإسكندري. وجد كوربنريك، الفلكي البولندي، أن ترتيب الكواكب بما فيها الأرض حول الشمس، يجب عن أسئلة كثيرة لا يمكن من السهل



الفلكي البولندي كوربنريك

وفقدان الهوية للثقافة العربية. ولمواجهة حركة الترتيك آنذاك واكتب حركة الإحياء الشعري ظهور إصدارات صحافية اهتمت بقضايا الثقافة والتعليم والسياسة، وعملت على نقل آراء المفكرين والعلماء في مختلف مجالات المعرفة، ولذلك لم يكن غريباً أن يقوم الأدباء وصفوة المفكرين بمهمات صحافية متعددة، إذ ظهرت كتابات صحافية رائدة بأقلام الإمام محمد عبده ورفاعة الطهطاوي وعبد الله النديم وغيرهم. عام 1900 أصدر خليل مطران مجلة نصف شهرية في القاهرة «المجلة المصرية»، واستمر صدور هذه المجلة عشر سنوات، وتميزت المجلة بطابعها الأدبي إلى جانب الدراسات الفلسفية والتاريخية، واشتغل مطران مراسلاً لجريدة «الأهرام» من القاهرة: مقرها في الإسكندرية آنذاك، حتى عام1899، ليتفرغ بعد ذلك لعمله في «المجلة المصرية» لمدة ثلاث سنوات، ويصدر مطران عام 1903 جريدة يومية «الجوانب المصرية»، ولذلك شهد معاصروه مساهماته في تطوير الصحافة العربية، إذ وّجه اهتمامه نحو مواكبة الحدث اليومي وأخبار المال والتجارة والاقتصاد ونشر الروايات المسلسلة والقصائد والدراسات النقدية. وشاركت في تلك الجريدة كوكبة من كبار الشعراء والمفكرين من أمثال أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وأنطوان الجميل وأحمد محرم وغيرهم، وترجم مطران مجموعة كبيرة من المسرحيات والروايات العالمية، فصنع جسراً بين الثقافتين العربية والغربية من خلال انتقائه لتكنوز الأدب العالمي.

ريادة صحافية

اختار مطران أن يترك الصحافة بعد 17 عاماً من ممارسته لها ليتفرغ لعطائه الشعري

الرومانسيين الكبار.

ثقافة

والأدبي، رغم نجاحه في رئاسة تحرير «الجوانب» وتأسيس نهضة صحافية أفادت منها الأجيال اللاحقة. وظل مطران عبر سنوات عمره السبعة والسبعين يؤدي رسالته الأدبية بين الكتابة النثرية والشعرية، فكتب الشعر القصصي والملحمي والرواية التطفيلية، كما عمل مديراً للفرقة القومية المسرحية التي شهدت ازدهاراً للفن المسرحي.

كان ينادى بمسرحه عن الابتذال والسقوط الفكري، فتحققت النهضة المسرحية عبر العديد من الأعمال التي جسدت معاناة الشعب العربي وهوموه وأفراحه ورغبته في التخلص من قيود الاستعمار. كما شغل مطران منصب السكرتير المساعد للجمعية الزراعية الخديوية؛ إذ ترجم مع الشاعر حافظ إبراهيم خمسة أجزاء عن اللغة الفرنسية لكتاب «موجز علم الاقتصاد».

في عصر مطران تعدّدت الألقاب. فهناك شاعر السيف والقلم وشاعر النبل وأمير الشعراء. ولقب مطران بشاعر القطرين تقديراً له على عطائه الشعري. وكانت تجمعمه صداقة حميمة بشوقي ولم تكن تمر مناسبة من دون أن يكتب قصيدة لشوقي أو أولاده. ومع ذلك كان يستشعر اضطهادا ما وإحساسا بالمرارة، ربما لابتعاده عن وطنه لبنان. عاش حياته في مصر، رجلاً هادئاً وقوراً لا يجد غضاضةً أن يكون عضواً في مدرسة «أبوللو» التي يترأسها تلميذه أبو شادي. وبذلك ابتعد مطران عن المباحثات النقدية، أو الرغبة في تمجيد الذات، أو افتتال المعارك الشخصية، ويكفي ما قاله عنه شوقي:

«هو صاحب المنن على الأدب العربي». لم يكن مطران شاعر القطرين فحسب، بل أول الرومانسيين الكبار.

1/2

الإجابة عنها قبالاً. من هنا كانت نظرية مركزية الشمس. تحقيق نظرية مركزية الشمس ودوران الكواكب حولها بما فيها الأرض، جاء عن طريق علماء وفلاسفة تجريبيين، كبيلر، ديكار، سبينوزا، واسحق نوتن.

مركزية الأرض ومعها سلطة الكنيسة الطاغية تلقيا ضربة قاضية لم يبقا منها قط. كان تأثير مركزية الشمس في الفكر الديني الثابت عهد ذاك، بماثل تأثير نظرية التطور لدارون بعد ذلك بثلاثة قرون. ثم جاءت هزيمة أخرى على يدي غاليليو الذي الثابت عهد ذاك، بماثل تأثير نظرية التطور لدارون بعد ذلك بثلاثة قرون. ثم جاءت هزيمة أخرى على يدي غاليليو من برج بيزا المائل. أعلن غاليليو الشاب أنه سوف يلقي جسمين مختلفين في الوزن من أعلى البرج، وتنبأ بوصولهما معا إلى سطح الأرض. هذا يخالف ما نعرفه سابقاً.

ماذا يعني ذلك؟ يعني أن التجربة أثبتت خطأ ما كنا نعرفه نظرياً من دون تجربة. التجربة يجب أن تأتي أولاً، ثم بعدها يأتي الاستنتاج والنتيجة المبنية على المعادلات الرياضية.

التناخ أعمال غاليليو كانت هائلة. قوانين حركة الأجسام هي التي تشكل العالم، تتحرك بالنسبة إلى المكان والزمان. أثبت تايكو براهي وكبلر، بمعادلتها الرياضية وحساباتهم الفلكية، أثبتا صحة نظرية مركزية الشمس بلا شك، واكتشف غاليليو بعدما اخترع التليسكوب أن كوكب المشتري ذو أقمار خاصة به تدور حوله.

إذا كانت الأرض هي مركز الكون، لم لاندور هذه الأقمار حول الأرض بدلا من دورانها حول كوكب المشتري؟ إلا يعني ذلك أن مركزية الشمس هي الأصوب؛ التفكير يأتي أولاً. ثم المعادلات الرياضية. بعد ذلك تأتي التجربة.

دعاة الحرية والإنسانية يرون أن خلاص الإنسان في العقلانية والقوانين الطبيعية. الإصلاح الديني ليس له مكان هنا. لأن الإصلاح الديني بقيادة مارتن لوتر، ترك الغيبيات كما هي، وحول سلطة البابا إلى سلطة الكتاب المقدس فحسب. (يتبع)



غاليليه

وبعدما أنهى الأستاذ تنويم معاونه التفت إلى جميل وقال له دونك والرجل، اساله ما تشاء وهو يبتكر ويخدم. وبقليل من التردد بدأ جميل تجربته فسأل صاعقه النائم أين أنت فقال أنا في صيدا. وهذه عاصمة جنوب لبنان. فقال انذهب إلى الخبيطة فقال لا أعرف كيف، فقال له انذهب إلى ساحة رياض الصلح هناك ففعل، فقال ابحث عن موقف السيارات الخاص بالنطية ففعل، فقال له اصعد مع أول سيارة ذاهبة إلى هناك ففعل، واستغرقت الرحلة بعض الوقت والرجل النائم مسافر بين صيدا والنطية حتى وصل إلى حيث يريد هناك. نزل فقال له جميل اذهب إلى الساحة هناك سيارة خضراء متوقفة أو ستجد شخصا عند الموقف ينتظرونها، فإذا وجدتها اسأل عن السائق ثم انتح به جانبا قل له تعرف جميل فلان فسئولك كل نعم. قل له لقد أرسلني لأقول لك أن تحرق أوراق الحزب التي لديك وأن تبلغ سميرا أن الاجتماع المقبل هنا في النطية في منزل وفيق يوم السبت المقبل الساعة السابعة مساء. (يتبع جزءاً جاًن أخير)

قصة

د. محمد معنوق

كانوا أربعة، جليلين وامرأتين. لم يكونوا قد تعارفوا منذ مدة طويلة. شهران فحسب تقريبا. إلا أن التفاهم بينهم كان تاما. زوجان مقابل زوجين. أدباء جميعا. لم تضغ دقائق على المجاملات حتى شمر كل منهم عن ساعديه وبدأوا يبتازرونزون بالمعرفة والطرائف. ومن موضوعه إلى موضوع وعلم الحديث بهم إلى الأدب فالصحافة ومنها إلى عمل النفس والفلسفة، ثم إلى الروحانيات واليوغا، وعوده إلى علم النفس والتنويم المغناطيسي والسياسة والإعلام الأجنبي وكيفية تعامله مع العرب. كان كل منهم يحاول أن يهرّب الآخر. طارق صحافي والدكتور جميل يعمل في الإذاعة في القسم الثقافي، وهو أديب أيضا ووجهه كذلك. ومثلها زوجة طارق. جميعهم يشتغلون بالكاتبة. بلوا كل لنفسه أسما ذا شهرة، بهذا المقدار أو ذاك، من دون أن يكون أي من الفريقين على علم بتفاصيل وضع الآخر. مشهورون، كل على طريقته. أو ربما كانوا موهوبين بالمشهرة ولكنهم في كل حال راغبون فيها كثيرا. من منا غير ذلك؟ خصوصا في منتصف العمر أو بالأخص في

1/2

سهرة الأسئلة والغياب

المنصف الآخر منه وكانوا كلهم في النصف الآخر، أربعينيون وخمسينيين. في هذا الوقت يشعر الإنسان بأنه أضعاف وقتاً طويلاً ويخاطب هذا الشعور ندم وإحساس بقصر العمر. أو ربما كان هذا وضع الذين لم يحققوا ذواتهم ولم يفعلوا ما يرضى طموحهم ولم تملاَ آسماؤهم وشهرتهم الاضواء. وهو غالبا الحال في الأوساط العربية المنقطة أو ربما كان أكثر بروزا وحةً في أوساط المغتربين العرب، فهم إما منفيون فارقوا مجداً قائماً أو حلماً كاد يتحقق، وإما مضطهدون هربوا من الاضطهاد إلى الغرب حيث الحريات الباردة تغري طالبيها الشرقيين الذين أزهقتهم شمس الاستبداد القاسية وهي شمس تركت آثارها ليس على جلدهم فحسب بل وعلى نفوسهم أيضا، ولذلك يشنق إليها العرب ويعودون إليها بين الحين والآخر حتى وهم يلعنونها ويشتمونها ويظهرون تمدنهم بالإعلان عن تخلصهم من هم الانتماء القومي.

«أنا بلدي حيث أمارس حريتي وأحقق سعادتني»، يقول كل واحدهم فتكاد وانت أنت أنه ليس حراً بقدر ما يتوهم وليس سعيداً إلا بقدر ما اتقن من أساليب حديثة للتهرب من همومه